الحي اللاتيني

انك منذ اليوم * ستحاول ان تقبس مثالهم. أترى حيويتهم هذه الجديدة كيف تنعش وجودهم ، وتطـــلّ من أعينهم ضاحكة ؟ لقـــد كنت تعرف رصانة « كامل » في بيروت ، وتذكر حرصه الشديد على اجتناب الناس ، والانطـواء على النفس ؛ ولم تنسَ بعدُ انك كنت تُنحي باللائمة على « زهير » وتنعى عليـه هذا الحزن الدائم الذي كان يطبع حياتـــه . و « أسعد » ؟ ألم تسمع هذه الضحكات المجلجلة التي كان يُرسلها وهو الذي كانت الصرامة دأبه في حياته العمليـة ، يوم كان له مكتب مقاولات في العاصمة ؟

كأنما هم ألقوا اثقال الرصانة التي كانت تُرهق اكتافهم في بلادهم ، وشعروا شعوراً عميقـاً بانهم مدعوون الى ان يسوقوا في باريس حياةً منطلقة لا يحـدّ من حريتها قيـد ، فاستجابوا لهذه الدعـوة بكل ذرة من ذرات وجودهم ، وخلّفوا وراءهم اغلال ماضيهم .

مثلهم ينبغي ان تكون . ولا مفرّ لك من ذلك ان شئت ان تنسجم وهـذه الحياة ، وتتساوق مع جو باريس هذا ، جو الشباب الصاخب ، الزاخر بالحيّا والمرح . وليس لك خاصةً ان ترفض دعوة « كامل » الى سهرة هذه الليـــلة في منزله . صحيحٌ انك ستُلقى في وسط غريبٍ لم تألفه ، ولكنك لن تلبث طويلًا حتى تنصهر في بوتقته . عـــلى ان امامك شرطاً واحداً لن يكلّفك كبير جهد ، هو ان تخنـــق ذلك التهيّب البليد الذي تتعثر به قدماك في كل خطوة ، كأنما انت طفلٌ في سنيه الاولى .

وتردّد الطفل طويلًا قبل ان يجرؤ على طرق الباب حـين بلغ منزل « كامل » ؛ وأوشك التردّد ان يتحـــول الى قرار بالعودة ساعة سمع صوت موسيقى وضحك فتيات . وطرقت اصابعه الباب طرقاً خفيفاً واهناً ، كأنما كان يقصد الاّ يسمعه احد . خيرٌ لي إذن ان اعود . سأرجع الى غرفتي ، فأقرأ في كتاب ، أو اخرج الى الشارع فأضرب فيه على غير هدى .

وكاد ينفتل حين رأى الباب يُفتح ويُطلّ منه وجه كامل :

— اوه ، هـــذا انت ؟ ما ادق مواعيدك ! اننا نهمّ بان نجلس للعشاء .

وجذبه من ذراعه ، واقتاده مسرعاً الى « الصالون » فتبعه متباطئاً ثقيل الخطو ، كأنما ينتعل حذاء من حديد .

— اقدّم لكم صديقي الشاعر اللبناني الذي كنت احدثكم عنه منذ لحظات ..

لتحلّ عليك لعنة الله ايها الشقيّ ! أكان من الضروريّ يا كامل ان تحدّثهم عن شعري ؟ إفرض ان احـــدى هؤلاء الفتيات رغبت اليه ان يُترجم قصيدة من قصائده الى الفرنسية فهل يكون هذا في طوقه ؟ كان يجب ان ...

— ولكن اقتربْ يا عزيزي ، وصافحْ كلاً منهم ، فنحن هنا اسرة ؛ النصف الافضل اولاً : سيمون ، جانيت ، سوزان ، هيلين و .. زينة . اننا نسمّيها « زينة » لانها تشبه البدويات ، ألا ترى ذلك ؟ ولعلّك تعرف بعد ذلك هذه الانصاف الخشنة : صالح من بيروت ، وسعيد من دمشق ، واحمد من العراق ، وربيع من تونس .. برج بابل عربي !

وكان سعيد اول من تقدّم منه فشدّ على يده مرحّباً . وتشجـــع هو ، فراح يصافح سائر افراد الاسرة وهو يتمتم « تشرّفنا . وأحسّ بان « زينة » تضغط على يده وهي تصافحه ، فكأنما تودّ ان تستبقيها في يدها ، أو لعـــله — هو — لا يعرف ان يصافح بحرارة .

وتراجع يبحث عن كرسيّ ، فهتف به كامل :

— لا ، لا جلوس هنا ، بل الى المائدة — المتواضعـــة — فوراً . ان بوسعي الآن ان ألتهم جملًا ؛ ولكن ليس هناك مع الأسف إلا قطعة صغيرة ، بحجم الاذن ، من لحم البقر .

واتجه الجميع الى القاعة الاخرى ، فجلسوا الى طاولة صغيرة قامت في وسطها ، بينما انتحى احدُ اركانها سريرٌ متواضع ، وقامت في ركن آخر خزانة ثياب صغيرة .

وأرسل انفاسه على مهل . إنّ كلاً منهم الآن معنيٌ بطعامه ، ولكنه لا يقصّر في الضحك والتفكّه ، ما أشدّ نهمهم الى الطعام ، الى الضحك ، الى الحياة كلّها . وأخـذ ينقّل نظره خفيةً بين الفتيات : «سيمون» وحدها كانت الجذّابة فيهنّ . اما سوزان

(*) فصل من رواية بهذا العنوان ، تصدر عما قريب .

التائه..

أينما سرت فالطريق عواءُ ... ظمأ صارخ وداء عياءُ
ولهيب يؤجّ في الخافق الدامي ... وروح تضيق عنه السماء
جفّ نبع الحياة في عمريَ الغض ... وماتت في مقلتي الاضواء
وورود الشباب صوّحها السقم فغاضت في قلبها الانداء
أينما سرت فالمنى تخنق الروح ... وقلب تنزّ منه الدماء
فعلى راحتيّ بُقيا شبابٍ ... ؛ وبعيني دمعة خرساء
وبجنبيّ مهجة تتلوّى – من جروحٍ – ... ومضغة هوجاء

★

أيها التائه المعذب ... يا من ضحكتْ من طوافك الاقدارُ
يا غريب الديار ... ودّعْ امانيك ... فقد آن ان يموت النهار
آن للروح ان تحلّق في الكون بعيداً ... وملؤه الاسرار
آن ان تخنق السهاد بعينيك ... فقد طال يا شقيّ الاسار
طال مسراك هائماً .. في حمى الماضي .. وفي راحتيك شوك ونار
قد ضلت الدروب .. يا ايها التائه ... هذا شبابك المنهار ...
هذه دمعة الاسى بين جفنيك .. رثاءٌ .. وشقوة .. واحتضار ..

★

وقفةً يا زمانُ .. لا تسرع الخطوَ، فعمري ما عاد إلا ثوانِ
انا ضيّعت في الكآبة احلامي .. وودّعتُ بهجة العنفوان
وبكيتُ الشباب يحرقه الوجدُ .. وتضنيه كاذبات الاماني
وحَطَمْتُ الكؤوس وهي حنينٌ وتسابيحُ في فم الأشجان
فتمهلْ فليس لي غير احلامٍ تهاوت في خاطر النسيان
إنها ذكريات قلبٍ شقيٍّ .. نثرتها زوابعُ الحرمان
إنها عالمٌ من السحر والفن .. ونبعٌ من الهوى والأغاني

★

يا اغاني الوداع ... يا مأملي الحلو ... ويا جنة الهوى الفواحِ
ما لقلبي الغريب يقذفه الموج حطاماً ... على أكف الرياح ؟
كيف امضي؟ وقد تناثر حولي .. امل كان في الذرى من طماحي ؟
كيف امضي؟ ... وقد تلفّت يومي مشرئباً الى الغد الملتاح ؟
وغدي! ... ما غدي ؟ أغيرُ شظايا من حياة مخضوبة بالجراح ؟
سوف يحثو الزمان فوق اماني تراب النسيان والأتراح
وستذوي اللحون فوق شفاهي
ويجفُّ الرحيقُ في اقداحي

الموصل – العراق. **محمود فتحي المحروق**

وجانيت وهيلين ، فكنّ فقط جميلات . واما « زينة » ، هذه التي يدعونها « زينة » ، فلا يدري ... بلى ، إنّ في نظراتها تحديقاً عميقاً يبعث على الخوف ، وعلى شفتيها الرمانتين شهوةً تسيل .

ولكن كيف اتيح لهم ان يجتمعوا كلهم هنا ؟ أية جرأة في إهاب كلٍ من هاتيك الفتيات ان تسعى الى لقاء حبيبها في غرفة صغيرة امام الجميع ؟! كفاك هذراً! انت تنسى مرّةً اخرى انك في باريس ، أخرِجْها من نفسك ، بيروتك هذه ، أخرجها فاقتلها ثم ادفنها . اما باريس ، فواجهها كما هي ، وتأملها ملياً ، ولن تلبث هي نفسها ان تتسلل الى قلبك فتعيش فيه .

والآن ، ينبغي لك ان تقول شيئاً . لقد قال لهم صالح إنك شاعر ، وانتهى الأمر . فمن يدري : لعل سوزان او جانيت تقول لنفسها هذه اللحظة : « نعم ، شاعر ، ولكنه أبكم ! »

– إذن ، ما هو الاسم الحقيقي لـ « زينة »؟

فضحكت زينة وأجابت على الفور : – كليوباطرة !

وانفجر الجميع بالضحك . وشعر بالدم يحرق وجهه . أتراهم يهزأون بي ؟ ولكن ما الذي قلتُه ؟ أكان خيراً لي ان اظلّ على صمتي ، أن اظلّ شاعراً أبكم ؟

– عفواً ، انني قصدت المزاح . اسمي مرغريت . أليس هو اسماً جميلاً ؟ الا يمكن ان يوحي اليك بشيء ؟

فضحك وأجاب ببساطة – : وكيف ! انه يوحي إليّ بديوان شعر من مئتي صفحة !

وأدهشه ان تُصدي القاعة بالقهقهات . لقد انقذتَ نفسك . انه الشباب الذي لا همّ له ، ولا يحمل في صدره اية أوشاب . ولكن، ألا تُلاحظ انهم شربوا ثلاث زجاجات من الخمر ، وانت لمّا تفرغ كأسك الاولى ؟

وانبعث فجأة من « الصالون » نغمات تانغو حالم ، فألقى سعيد ما بيده من طعام ، وغمز سوزان بعينه . وما لبث أحمد ان جذب هيلين بقوة واللقمة تملأ فمه . وقال صالح :

– اما نحن ، فنفضل الطعام على الرقص ، اليس كذلك يا جانيت ؟

– بلى يا حبيبي .. أقصد اننا لن ننهض الى الرقص ، قبل ان تفرغ المائدة من الطعام !

وربيع وحده ظلّ يمضغ لقمته بهدوء ، وطيف بسمة يراود شفتيه . ولكن اتظلّ انت على وجلك ؟ انظر اليها : انها تودّ ان تراقصك . لا ، لا تخشَ شيئاً ولا تكن بليداً . إنه لا مجال للغيرة هنا . إن جميع الشبان يراقصون جميع الفتيات . ولكنها قد ترفض دعوتي ! ثم إنها ...

– الا يحب الشاعر الرقص ؟

وانتفض في مجلسه ، ثم ابتسم ، ثم نهض دون ما تريث :

– بلى ، وان كان لا يُحسنه كثيراً . ويسعده ان يراقص زينة ، يقصد كليوباطرة ، يقصد مرغريت ...

ونهضت ، تشعّ على شفتيها الممتلئتين بسمة رائقة ، وهي تنظر الى كامل . وقال كامل :

– ما دام ضيفنا العزيز لا يُحسن الرقص كثيراً ، فارقصي معه « البيبوب » يا مرغريت !

ولم ينتبه الى السخرية الصغيرة لأنه كان يفكّر : إذن مرغريت هي صاحبة كامل ؟ لا ريب في انه ينعم بلذائذ جنتها الناضجة . إنه جدير حقاً بان يُحسد . هذا الجسد ، ذانك النهدان ...

وأحسّ بهما ، نهديها ، يرتعشان على صدره ، فيما هو يشدّها اليه ، وشعر بجسدها يرتخي بين ذراعيه ، وبفمها قريباً من فمه . وشمّ رائحة الخمر تنبعث قوية من فمها ، وشمّ رائحة العرق تنبعث قوية من جسمها . امرأة بين ذراعيه ، ملء ذراعيه ، ملء كيانه . امرأة تُشتهى . امرأة تُقبّل شفتاها بجنون .

واصطكت ركبتاه ، وفقدت خطواته إيقاع الرقص ، فاضطربت وتعثرت . وشعر بان زينة تتحلل فجأة من ضمّته وهي تلتفت ناحية كامل ، في الغرفة الاخرى التي كان لا يزال يأكل فيها مع صحبه . وارتمت على مقعد قريب ، وهي ما تنفك تنظر اليه . ورأى في عينيها بريقاً ما أعجبه ! بريقاً لم يرَ – حياته – مثله في عيني امرأة .

وشاء ان يعود الى غرفة الطعام ، لكي يتحرك من مكانه

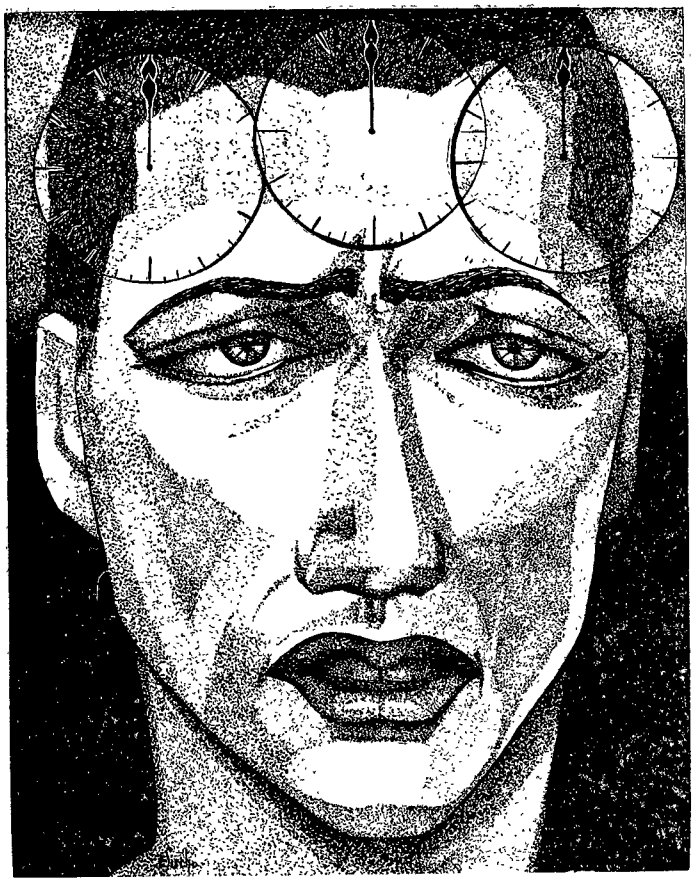

فقط ، ولكنه رآهم يخرجون الى قاعة الرقص ، من دون كامل الذي ظلّ يجمع الاواني والصحون . وها هم الآن جميعاً يرقصون . ونظر الى زينة ، لا يدري لماذا ، فألفاها تنهض متثاقلة ، وتدخل غرفة الطعام فتغلق خلفها الباب . وسمع بعد لحظات صرير القفل .

ونقّل بصره بين الراقصين ، فأحسّ بان الجو الحميم الذي يغمرهم ، يغرقهم في صمت طافح بالحنين . ولاحظ ان سيمون تمنح « ربيع » شفتيها بنهم ، بينما توقف احمد وهيلين في وسط الحلبة وقد كفا عن الرقص ، فالتصق جسماهما وغرقا في قبلة لا تنتهي . اما سعيد ، فكان يوسّد سوزان ذراعه ، وقد استلقيا على ديوان في زاوية القاعة ، فانكشف ثوب فتاته عن ساقيها العاجيتين .

وانطفأ النور الكهربائي الباهر . واضيء مصباح شاحب الضوء ، احمر اللون . ثم كفّت الموسيقى ، فساد صمت طويل ، كأن لم يكن ثمة انسان ، لولا ضحكات مكبوتة ، وتنهدات متقطعة واصوات لثمات يبللها الرضاب . حبيبي . حبيبتي .

وانسلّ سريعاً خفيف الخطو ، كأنما ينتعل حذاء من حرير . حتى اذا بلغ الباب ، شقّه على مهل ، ثم ردّه خلفه دون ان

يُحكم إقفاله ، وابتلعته الطريق .

لا ، ما أشدّ ما اكره هذا الارتجال ! انني احب ان اتنبأ بالامور لأعدّ لها عدتها واتخيل كيف يمكن ان تجري . بذلك وحده اتفادى من الخيبة ، وافلت من عواقب المفاجآت . اي شيء كنت ارجو ان اصيبه في تلك السهرة ، هذه التي يطلقون عليها اسم « سوربريز بارتي » ؟ ما الذي قادني الى ان احشر نفسي في هذا الجو الحافل بالانسجام ؟ خمس فتيات خمسة شبان ، حسبتني بينهم كاليتيم ، واحسستني دخيلاً ثقيل الظل . وما الذي نلته بعد ذلك ؟ اجساد . نهود . شفاه . رضاب . حبيبي . حبيبتي .

واطرق برأسه ، ومضى في طريقه ، وفي حلقة غصّة . ومال الى مقهى ، فشرب زجاجة من عصير الليمون ، وظلت في حلقه الغصة . والفى نفسه بعد حين في «روديزيكول» من غير ان يفهم تماماً كيف افضى اليه .

ولكن ماذا ؟ اتعود الى غرفتك ، ولما تتجاوز الساعة العاشرة والنصف ؟ واي شيء ترى ستفعل في غرفتك ؟ لقد خرج صديقاك صبحي وعدنان سعياً وراء المغامرة ، افتنوي ان تبقى وحدك ؟ انه لكذلك . اعرف ان الساعة لم تتجاوز العاشرة والنصف ، واعرف ان صبحي وعدنان غادرا الفندق . ساعود الى غرفتي واظل وحدي . اريد ان اظل وحدي . وحدي . ان الذين يتهمونك بالعناد الشديد ليسوا على خطأ كبير .

وارتمى في غرفته على الكرسي المريح ، ثم نهض وخلع ثيابه ببطء ، وغسل وجهه ، ثم ارتدى منامته واستلقى على سريره وقد شبك ذراعيه تحت رأسه . اتحسب انها هي التي ستُقبل للبحث عنك ؟ أتظن انها هي التي ستدنو منك فتبتسم لك ، ثم تنعطف نحوك وتهمس في اذنك : « انا التي تبحث عنها .. تعال احبّني ! »

تبحث عنها ، عن المرأة . تلك هي الحقيقة التي تناساها ، بل تتجاهلها . لقد اتيت الى باريس من أجلها . والآن ، ارأيت انك كنت مخدوعاً عن نفسك ، ساعة كنت تتصور انهن كثيرات كثيرات هنا ، وانه يكفيك ان تسير في الطريق ، ليتهافتن عليك ويحدثنك حديث الهوى ؟

ونهض من سريره ثائر الاعصاب . نقطة الماء . نقطة الماء هذه التي تسقط في المغسلة تثير حنقه بصوتها الرتيب . انها تسقط كل عشرين ثانية تقريباً . وكلما سقطت ، كان لصوتها نقرة تحدث في فكره ثغرة جديدة تقطع سلسلة افكاره . وشد اللولب شدّاً محكماً ، حتى اذا تيقن من انقطاع النقطة ، عاد فاستلقى على سريره . طبعاً . ان بوسعه الآن ان يفكر بهدوء او ينام براحة . اجل ، ينبغي لك ان تطلبها ، ان تنشدها ، ان تسعى في أثرها . انها هي هي . في بيروت وباريس ، في جميع انحاء الدنيا . لقد خدعوك حين قالوا لك إن . .

وصكت سمعه فجأة دقات ساعة قريبة ، لا بد انها ساعة محافظة « الدائرة الخامسة » تجاه « البانتيون » . ولم يكن قد انتهى من عدّ دقاتها حين بدأت ساعة اخرى ، لعلها ساعة السوربون ، تدق دقات اقوى وأشدّ عزماً . واختلط عليه الامر ، فكفّ عن العد حتى انتهت الدقات . وفي اصداء رنينها ، سمع دقات بطيئة بعيدة ، ثقيلة ، كأنها خطوات عجوز تتناهى الى سمعه ، فقال انها ساعة كنيسة نوتردام . وحين تلاشت الاصداء ، اخذه العجب من أنه لم يتنبه قبل الآن الى هذه الساعات الثلاث . أفكانت معطلة ، أم نفسه كانت ، قبل هذه الليلة ، مكتظة بالأصوات ؟

وجعل ينتظر دقات الساعات الثلاث بعد ربع ساعة ، حتى اذا سمعها ، راح يترقب دقاتها مؤذنة بالنصف بعد الحادية عشرة . انفرطت سلسلة الافكار جميعاً ، ولا سبيل الى نظمها من جديد .

ودخل صبحي الغرفة قبيل الثانية عشرة .

— الا تزال مستيقظاً ؟

— كنت على وشك ان انام فأيقظني دخولك .

— الا تودّ ان أقصّ عليك مغامرتنا اللذيذة الليلة ؟

— أرجوك يا عزيزي . ارجيء ذلك الى الغد . إن النعاس يقتلني .

ورأى صديقه يخلع ملابسه ويرتدي منامته على عجل ، ثم يستلقي على سريره ، وهو يزفر زفرة طويلة .

وانفجرت الساعات الثلاث تدقّ الثانية عشرة ، مختلطة الدقات .

— : أسمعت يا صبحي هذه الساعات الثلاث ؟

ولكن صبحي لم يُجب . لقد نام . لا بدّ انه التقى بها . وجدها هي ... المرأة .

وتقلّب في فراشه ، وعزم بدوره عزماً قوياً على النوم . ولكنه بعد لحظات ، فاجأ نفسه وهو يترقّب ان تدق الساعات الثلاث ، الربع بعد الثانية عشرة .

سهيل ادريس